٣٩ بلداً في العالم ، ليس من بينها العراق ، بلغت نسبة التبرع بين مواطنيها ١٠٠٪

لماذا يعزف المواطنون العراقيون عن التبرع بالدم من تلقاء انفسهم؟

اياد عطية الخالدي

المتبرع جميل التميمي: انقذ حياة سبعة اطفال في ليلة واحدة

في ساعة متأخرة من ليلة شتائية من ليالي سنة ١٩٩٧ اتصل بي احد اقاربنا من منطقة الشيخ معروف واخبرني بوجود امرأة من معارفه في احد مستشفيات الولادة ، وان حياتها وطفلها متوقفان على توفر دم بأسرع وقت ، توجهت الى المستشفى وهناك تبرعت لها بالدم يقول جميل احمد التميمي ٥٤ سنة ، احد ضاربي الارقام القياسية في التبرع بالدم على مستوى العراق ، ورئيس سائقي وزارة التجارة مضيفاً: كانت المفاجأة ان سبعة من الاطفال الذين ولدوا كانت حياتهم متوقفة على توفر الدم تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وهكذا تم انقاذهم جميعاً ، وكانت لحظات لا تنسى اختلطت فيها مشاعر الفرح بالدموع والامتنان ، ولم اتمكن من النوم ليلتها ،وقضيتها بين الاطفال وعوائلهم التي مازالت لغاية الان ترتبط معي وعائلتي بعلاقات انسانية ، كما اني اتابع اطفالهم الذين اتصلوا بي قبل ايام بأنفسهم ليبلغوني بخبر نجاحهم في الامتحانات.

مدير المركز الوطني لنقل الدم: نحن بحاجة الى برنامج وطني للتبرع بالدم يساهم فيه. جميع المواطنين

زيادة الطلب على الدم

مع تصاعد المواجهات المسلحة واعمال العنف والعمليات الارهابية وارتفاع معدلات الامراض، يتزايد الطلب على الدم في المستشفيات والمراكز الصحية في العراق، الذي يعاني منذ فترة طويلة نقصاً في امدادات الدم خاصة من الاصناف السالبة ويضطلع المركز الوطني لنقل الدم بمهمة توفير كميات منه الى المستشفيات والمراكز الصحية العراقية بالاعتماد على نظام العوض او بالحصول عليه عن طريق التبرع الطوعي.

تقارير وتقارير

وتشير التقارير السنوية التي يصدرها المركز الوطني لنقل الدم، عن ضعف واضح في عمليات التبرع الطوعي للمواطنين وعن فارق شاسع بين حجم وكمية الدماء المطلوبة او التي تستهلك في المستشفيات وبين حجم او كمية الدماء التي يتم الحصول عليها عن طريق التبرع الطوعي، وكمثال على ذلك يقوم المركز الوطني لنقل الدم بتجهيز مراكز مرضى الثلاسيما بـ ٤ الاف قنينة دم كل شهرين في حين ان كمية الدم المتبرع بها بشكل طوعي لا تتجاوز نصف الكمية.

لماذا هذه الفروق؟

في تقرير صدر هذا العام عن منظمة الصحة العالمية وبمناسبة اليوم العالمي للمتبرعين بالدم، يوضح التقرير ان ٣٩ بلداً فقط ليس من بينها بالطبع العراق، حققت نسبة تبرع ١٠٠٪ بين مواطنيها.

انه لامر مؤسف ان لا يكون العراق من بين تلك الدول وشعبه معروف بحبه للتعاون والعمل الانساني، ولهذا كان السؤال الذي يطرح نفسه لماذا لا يتبرع العراقيون بالدم ومواطنوهم او ربما اقاربهم او أعزاؤهم او ابناؤهم، قد يحتاجون اليه في لحظة ما..

الدعوة الى حملة اعلامية مكثفة لشرح معنى واهمية التبرع بالدم

سألت الكثير من الاصدقاء والجيران لماذا لا تتبرعون بالدم، وهناك مرضى ومصابون بامس الحاجة الى دمائكم لدرجة ان حياتهم او موتهم يتوقف على توفر الدم في لحظات معدودة؟

قال ابو زهير (٤٥ سنة) موظف في وزارة المواصلات: صدقني لن اتردد لحظة واحدة في التبرع بدمي لانسان محتاج اليه، وقد حدث هذا الامر معي قبل سنوات وقمت بالتبرع لاحد الاصدقاء.

قلت له: انا اقصد لماذا لا تذهب انت من تلقاء نفسك لمراكز التبرع؟ قال: في الحقيقة لم افكر بهذا الامر وان انشغالي بعملي معاناة الحياة لا تتيح لي فرصة الذهاب الى هذه المراكز.

مسؤولية الاعلام

وفي سيارة التاكسي التي كانت تقلني الى المنزل سألت سائقها رحيم خلف (٣٨ سنة) السؤال ذاته فأجاب: من قال لك اني لم اتبرع لقد تبرعت لاحد المواطنين من

صراع على صدارة المتبرعين بالدم بين مواطنين احدهما طبيب والفرق نقطة واحدة

اهالي مدينة البصرة الذي استأجرني لنقله الى مستشفى مدينة الطب، وشعرت بحيرته وهو يبحث عن متبرع بالدم لاحدى بناته التي كانت ترقد في المستشفى فذهبت معه الى مركز نقل الدم وتبرعت وانا لن ابخل بدمي لمن يحتاج اليه ما دامت صحتي تساعدني على ذلك، اما اذا كنت تقصد ان اذهب للتبرع من دون ان يطلب مني ذلك احد فالحقيقة لم افكر بهذا الموضوع وليس عندي وقت لافعله ولا اعرف الآلية التي يتم بها ذلك .. هذه مسؤولية الاعلام.

اما اسماء حميد (٢٧ سنة) فتقول: اخشى الذهاب الى المستشفى، واخاف من عملية التبرع بالدم، ان رؤية الدماء تخيفني، والواقع ان هناك العديد من الناس من يخاف من عملية التبرع بالدم ويعتقد انها قد تؤثر على صحته.

تبرع ١٢٧ مرة

تحتفظ سجلات المركز الوطني لنقل الدم بأسماء متبرعين متميزين ومواظبين على التبرع، وقد جرى تكريم عدد كبير منهم في اليوم العالمي للمتبرعين بالدم واحد من ابرز المتبرعين واكثرهم تبرعاً هو طبيب التخدير د. مازن جعفر خصباك، تبرع د. خصباك الذي يعمل في قسم الجراحات التخصصية في مدينة الطب ١٢٧ مرة وهو مازال مواظباً على التبرع ولم ينقطع عن ذلك منذ ان تبرع اول مرة عام ١٩٧٦ حين كان طالباً في المرحلة الاولى في كلية الطب جامعة بغداد. يقول د. مازن جعفر: الدافع الوحيد للتبرع بالدم هو الدافع الانساني ولا يوجد شيء يمكن ان يذكر غير ذلك. وكطبيب اشعر بسعادة عندما ارى وادرك معنى وتأثير هذا الدم الطازج في فسلجة الدم بشكل فوري وملحوظ سريرياً.

عامل اضافي

وعندما سالت الدكتور مازن جعفر عن مخاطر التبرع بصورة مستمرة اوضح قائلاً: لم يثبت في كل التجارب التي اجريت، وهي عديدة ان هناك خطراً اضافياً على صحة المتبرعين نتيجة تبرعهم بالدم، بالعكس فالتبرع بالدم يزيد ويحفز نشاط نخاع العظم وهو عامل اضافي لدعم جهاز المناعة وتجديد دم الانسان بتعويض الدم المعطى وهذ الدم سيكون بكل تأكيد نقياً.

التوعية الاعلامية ايضاً

لكن لماذا يتردد المواطنون بالتبرع بدمائهم من تلقاء انفسهم؟ يقول الدكتور خصباك: انا ايضاً اتساءل لماذا لا يفعلون ذلك وهم او اقرباؤهم سيكونون معرضين في اي يوم من الايام للاحتياج الى الدم، ويعتقد الدكتور خصباك: ان الامر يحتاج بالفعل الى توعية اعلامية، وقال انا لاافهم لماذا لا تقوم القنوات الفضائية المملوكة للدولة بتخصيص مساحة اعلانية يومية، لشرح فوائد التبرع بالدم على صحة الانسان ودفعهم الى المساهمة في مشروع وطني للتبرع بالدم ، كما ارى ان وسائل الاعلام الآخر ومن بينها الصحافة يمكن ان تساهم في هذه الحملة بتخفيض سعر الاعلانات الى النصف مساهمة منها في برنامج التوعية هذا، لنجرب هذا الموضوع يقول د. خصباك ويقصد موضوع التوعية الاعلامية: ونرى النتائج ، وانا اقترح ان يتم ذلك من خلال نسب احصائية في عدد المتبرعين شهرياً قبل حملة التوعية الاعلامية وبعدها، ويضيف: انا شخصياً مقتنع بان النتائج ستكون ايجابية وستظهر هذه النتائج ان هناك خللاً كبيراً في جانب التوعية الصحية.

للاطباء فقط

قلت للدكتور مازن جعفر خصباك: كونك اكثر تبرعاً بالدم في العرق فهل من دعوة توجهها للمواطنين لحثهم على التبرع التلقائي بالدم؟ قال: لاني طبيب لا اريد ان اوجه هذه الدعوة الى المواطنين لكني اريد ان اوجهها للاطباء والطلبة وبشكل خاص الى مجموعة الكليات الطبية، فانا لم اشهد حركة تبرع طبية بين صفوف طلبة مجموعة الكليات الطبية والاطباء مع ان المركز الوطني يقع بجانب كلياتهم وهم الاكثر ادراكاً من غيرهم لأهمية التبرع التلقائي بالدم، ويضيف: لا اجد أي معنى او تفسير للفروق عن التبرع بالدم ولماذا كل هذا الاهمال من جانب الاطباء وطلبة الكليات الطبية؟ وادعو الى حركة طلابية نشطة في مجال التبرع بالدم، لقد كان الاطباء وطلبة الكليات الطبية من اوائل المتبرعين بالدم في العراق. ويجب ان يكونوا دائماً الاوائل في ذلك كي يقتدي بهم الاخرون.

اكبر المتبرعين سناً

ويقول جميل احمد (٥٤ سنة) الذي حظي ايضاً بالتكريم في الاحتفال الذي اقيم في المركز الوطني بمناسبة اليوم العالمي للمتبرعين: بامكاني ان استمر بشكل متواصل لسنوات اخرى في التبرع بالدم، بل انني اعتقد ان صحتي الجيدة بحمد الله يرجع الفضل فيها الى عملية التبرع ، فبعد كل عملية تبرع اشعر بان نشاطي يتحسن ودمي يتجدد وانا بحمد الله صاحب ذاكرة قوية بامكاني ان اتذكر يوم زواجي وتاريخ ولادة ابنائي وحتى اقاربي، كما اني اتذكر جيداً ان اول يوم تبرعت فيه بالدم هو ٢٠/ ٦/ ١٩٧١ وآخر مرة ١٧/ ٥/ ٢٠٠٥ وكانت هذه المرة رقم ١٢٦ التي اتبرع فيها بالدم ولا يفوتني في عدد مرات التبرع في العراق سوى الدكتور مازن جعفر خصباك بمرة واحدة لكني اكبر المتبرعين سناً.

والدي يعمل حجاماً

ويشير جميل احمد الى ان والده كان يعمل حجاماً ويقوم بمعالجة العديد من المرضى بطريقة الحجامة، وقد كان يشرح لنا باستمرار الفوائد الصحية للحجامة ويقول عنها انها تقوي وتحفز الاعصاب وتنشط الدورة الدموية ولهذا فاني على قناعة اكيدة بان عملية التبرع بالدم عن كونها عملاً انسانياً يزكي النفس فان لها فوائد صحية جمة.

واوضح انه دائماً يشرح لأقاربه والمحيطين به في العمل فوائد ومعنى التبرع بالدم وانه تمكن من اقناع العديد من اقاربه وزملائه في العمل على التبرع بالدم.

وقال: ان بعض الناس يخافون من عملية التبرع وهذا امر غريب يعود لعدم وعي الناس بأهمية التبرع واثره الايجابي على الصحة واضاف: ادعو الى حملة توعية للمواطنين لشرح اهمية التبرع وحاجة المجتمع وخصوصاً المرضى بصورة مستمرة الى الدم، وانا على ثقة تامة بان الجميع لن يترددوا عن التبرع بدمائهم.

مراكز انسانية

برزت الحاجة الى انشاء مراكز انسانية في العراق بعد سقوط النظام بسبب الحاجة الى الدم بعد ان شهد عدد من مدن العراق مواجهات مسلحة كما ان استمرار اعمال العنف والاعمال الارهابية التي ينتج عنها اصابات بالغة في صفوف المواطنين دفعت العديد منهم ومن جهات اخرى الى انشاء مراكز انسانية للتبرع بالدم بعد ان كانت هذه العمليات تتم في السابق عن طريق المنظمات الحزبية وبشكل شبه قسري.

يقول الشيخ حسن طعمة رئيس مركز الحياة الانساني: ان مركز الحياة الانساني أنشئ في ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٤ في خضم الاعمال المسلحة والمواجهات التي حدثت في عدد من مدن العراق، بجهود مجموعة خيرة من رجال الدين والمواطنين الغيورين، وان المشاريع التي قام بها وابرزها حملات التبرع بالدم عكست صورة طيبة عن عمل ومهام ودور رجل الدين الحقيقي في العراق... ويشير الشيخ حسن الى انه في يوم واحد فقط وصل عدد المتبرعين الى ٦٠٠ متبرع في حملة تبرع بالدم لمواطني الفلوجة جرت في الصحن الكاظمي، وهي دلالة عظيمة على معنى وقوة الوحدة الوطنية التي يحاول الاعداء والإرهابيون تمزيقها، كما اجرينا العديد من حملات التبرع في ذروة حاجة المواطنين الى دماء بدءاً من المواجهات التي جرت في مدن النجف والكوفة الى اخرها التي حدثت في مدن سامراء والقائم وكذلك العمليات الارهابية التي استهدفت مواطني الحلة حيث يتم نقل الدم بسيارات خاصة وبالتنسيق والتعاون مع المركز الوطني لنقل الدم الى المصابين في هذه المدن واود ان اشيد من خلال صحيفتكم بالجنود المجهولين في المركز الوطني لنقل الدم الذين يبذلون مساعي حثيثة لدعم حملاتنا وتشجيعهم المتواصل لنا وتعاونهم الذي اثمر عن نتائج رائعة وملموسة انقذت ارواح المصابين من المواطنين كما اشيد بالمواطنين الذي اثبتوا انهم يريدون الحياة ولا يريدون العنف والارهاب والتدمير، أدعو جميع من يرغب في التبرع الى الحضور الى مركزنا في مدينة الكاظمية يوم الاربعاء من كل اسبوع.

المركز الوطني لنقل الدم

تظل قاعدة التبرع بالدم طوعاً هي الاساس في عمل المركز الوطني لنقل الدم كطريقة وحيدة للحصول على دم سليم وجاهز لنقله الى المرضى او المصابين المحتاجين اليه على الرغم من ان المركز يعمل الان بنظام العوض لانخفاض نسبة المتبرعين وعدم توفر امدادات الدم بصورة مستمرة.

ويقول مدير المركز الوطني لنقل الدم. اننا نسعى الى انشاء برنامج وطني للتبرع بالدم ونقول حالياً باستقطاب متبرعين جدد وانشاء علاقة انسانية معهم، كما اننا ندعم المتبرعين ونشجع على انشاء مراكز انسانية للتبرع بالدم، كما نقوم بتكريم المتبرعين ويوضح الدكتور الشمري قائلاً: الواقع ان هؤلاء المواطنين الذين يواظبون على التبرع بالدم يستحقون الاحترام والتقدير من المجتمع العراقي ومن وزارة الصحة بشكل خاص.

نقص كبير في امداد الدم بالعراق وتزايد في الطلب عليه

عملية آمنة

ويشرح الدكتور حيدر الشمري الاجراءات التي يتخذها المركز الوطني لنقل الدم قبل عملية التبرع بالدم وفي اثنائها وبعدها قائلاً: قبل ان يتم اخذ الدم من أي متبرع لا بد ان تجمع معلومات خاصة به تحفظ بطريقة سرية ولا يسمح لاي احد من غير المختصين بالاطلاع عليها وتتضمن بعض المعلومات إجابة عن اسئلة تطرح على المتبرع تتعلق بمكان اقامته، واخر ممارسة جنسية قام بها، وهل سافر والبلد الذي سافر اليه والفترة التي اقام فيها في ذلك البلد، بعدها تجري مجموعة من الفحوصات الصحية للتأكد من عدم تأثر صحته بعملية التبرع بالدم، يتم بعد التأكد من الفحوصات الاولية سحب دم التبرع بواسطة ابرة السحب (السرنجة) التي تستخدم لمرة واحدة فقط للحفاظ على صحة المتبرع وسلامته ويتم ادخال عينات من دم المتبرع الى مختبرات الفحص الخاصة بالأمراض الانتقالية عن طريق الدم واولها مختبرات فحص مرض العوز المناعي (الايدز) ومختبرات فحص مرض فايروس الكبد.. وبالنتيجة فان عملية التبرع بالدم هي عملية امنة، والواقع ان جزءاً مهماً فيها يعتمد على صحة المعلومات التي يدلي بها المتبرع خاصة بالنسبة للفحوصات والاجراءات المتعلقة بمرض (الايدز) الذي قد لا يظهر الفحص كشفه في مراحله المبكرة، ولهذا فإننا نتخذ اجراءاتنا من خلال المعلومات التي يدلي بها المتبرع وتمنح المتبرعين الذين يدلون بمعلومات لا تتطابق مع الاجراءات الاحترازية التي تتخذها خاصة بالنسبة الى موضوع السفر والممارسة الجنسية.

بناء برنامج وطني للتبرع

واوضح د. الشمري مدير المركز الوطني لنقل الدم، ان بناء برنامج وطني يشارك فيه جميع المواطنين القادرين على التبرع بدم سليم، يغنينا عن الكثير من المشاكل التي يسببها استيراد دماء او عقارات ذات منشأ بشري قد تكون معرضة الى تلوث الدم، لان المركز الوطني يقوم بنقل الدم الطازج ومشتقاته الى جميع المراكز الصحية في العراق بطريقة آمنة.

ان مشكلة عدم توفر الدم هي مشكلة عالمية اذ اشار آخر تقرير صدر عن منظمة الصحة العالمية الى وفاة ٥٠٠ الف امرأة في صالات عمليات الولادة بسبب عدم توفر الدم.

ناهيك عن الاصابات التي تحدث نتيجة حوادث العنف المسلحة وحوادث الطرق والحاجة الدائمة للدم للاشخاص المرضى بالسرطانات والثلاسيما .. وغيرها من الامراض.

ولهذا فاننا في المركز الوطني ندعو ونشجع على فتح مراكز صحية للتبرع بالدم في كل المناطق في العراق وفق نظام مبرمج يعتمد على حاجة المستشفيات والمراكز الصحية في العراق.

في احصائية دولية: ٥٠٠ الف امرأة تموت سنوياً في صالات الولادة بسبب عد توفر الدم